شرح كتاب التوحيد

للشيخ: محمد بن عبد الوهاب -رحمه الله-

شرح فضيلة الشيخ:
زيد المدخلي -حفظه الله-

الشريط السابع

فريق التفريغ بشبكة الحرائر السلفية

المتن:

بسم الله والحمد لله والصلاة والسلام على رسول الله

قال الشيخ محمد بن عبد الوهاب -رَحِمَهُ اللهُ تَعَالى-:

باب الشفاعة

وقول الله -عَزَّ وّجَلَّ-: (وَأَنذِرْ بِهِ الَّذِينَ يَخَافُونَ أَن يُحْشَـرُواْ إِلَى رَبِّهِمْ لَيْسَ لَهُم مِّن دُونِهِ وَلِيٌّ وَلاَ شَفِيعٌ)[الأنعام : 51]

وقوله: (قُل لِّلَّهِ الشَّفَاعَةُ جَمِيعاً)[الزمر : 44]

وقوله: (مَن ذَا الَّذِي يَشْفَعُ عِنْدَهُ إِلاَّ بِإِذْنِهِ) [البقرة : 255]،

الشريط الثالث

فريق التفريغ بشبكة

وقوله: (وَكَم مِّن مَّلَكٍ فِي السَّمَاوَاتِ لَا تُغْنِي شَفَاعَتُهُمْ شَيْئاً إِلَّا مِن بَعْدِ أَن يَأْذَنَ اللَّهُ لِمَن يَشَاءُ وَيَرْضَى) [النجم : 26]،

وقوله: (قُلِ ادْعُـوا الَّـذِينَ زَعَمْتُـم مِّـن دُونِ اللَّـهِ لَا يَمْلِكُـونَ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ فِي السَّمَاوَاتِ وَلَا فِـي الْأَرْضِ وَمَـا لَهُـمْ فِيهِمَـا مِـن شِرْكٍ وَمَا لَهُ مِنْهُـم مِّـن ظَهِيـرٍ 22 وَلَا تَنفَـعُ الشَّـفَاعَةُ عِنـدَهُ إِلَّا لِمَنْ أَذِنَ لَهُ حَتَّى إِذَا فُزِّعَ عَن قُلُوبِهِمْ قَالُوا مَاذَا قَالَ رَبُّكُمْ قَالُوا الْحَقَّ وَهُوَ الْعَلِيُّ الْكَبِيرُ)[سبأ 22: 23]

قال أبـو العبـاس: نفـى اللـه عمـا سـواه كـل مـا يتعلـق بـه المشركون؛ فنفى أن يكون لغيره ملك أو قسط منـه، أو يكـون عونًا لله، ولم يبق إلا الشفاعة؛ فبيّن أنها لا تنفع إلا لمن أذن له الرب؛ كما قـال تعـالى: (وَلَا يَشْـفَعُونَ إِلَّا لِمَـنِ ارْتَضَـى)؛ فهـذه الشفاعة التي يظنها المشركون، هي منتفيـة يـوم القيامـة كمـا نفاها القـرآن، وأخـبر النـبي صَـلَّى اللـهُ عَلَيْـهِ وَسَـلَّمَ أنـه يـأتي فيسجد لربه ويحمده، لا يبدأ بالشفاعة أولاً؛ ثم يقـال لـه: ارفـع رأسك، وقل يُسمع، وسل تُعط، واشفع تُشفع.

وقال له أبو هريرة لـه صـلى اللـه عليـه وسـلم: مـن أسـعد الناس بشفاعتك؟ قال: ((مـن قـال لا إلـه إلا اللـه خالصًـا مـن قلبه))؛ فتلك الشفاعة لأهل الإخلاص بإذن الله، ولا تكـون لمـن أشرك بالله.

وحقيقتـه: أن اللـه سـبحانه هـو الـذي يتفضـل علـى أهـل الإخلاص فيغفـر لهـم بواسـطة دعـاء مـن أذن لـه أن يشـفع؛ ليُكرِمَه وينال المقام المحمود؛ فالشفاعة التي نفاها القرآن مـا كان فيها شرك؛ ولهذا أثبت الشفاعة بإذنه في مواضع، وقد بيَّن النـبي صَـلَّى اللـهُ عَلَيْـهِ وَسَـلَّمَ أنهـا لا تكـون إلا لأهـل التوحيـد والإخلاص. انتهى كلامه.

الشرح:

الحمد لله رب العالمين.

اللهم صلِّ وسلم على عبدك ورسولك نبينا محمد وعلى آلـه وأصحابه أجمعين.

المناسـبة بيـن هـذا البـاب وبيـن كتـاب التوحيـد: أن مِـن الشفاعة نوع هو شرك أكبر يُنافي أصل التوحيد، وهذا النوع هو ما اعتقده الكفار والمشركون في معبوداتهم من أنهـم يجلبـون لهم مصلحة أو يدفعون عنهم ضرًا.

والشفاعة معناها الدعاء والطلب، مأخوذة من الشـفع، وهـو الزوج؛ لأن الشافع يضم طلبه إلى طالب الشفاعة وهما اثنـان: شافع ومشفوع فيه؛ فسُـميت الشـفاعة بهـذا الاسـم، ومناسـبة ذكر الشفاعة بعد البابين المتقـدمين هـي أن الشـفاعة المنفيّـة التي يعتقدها الكفار في معبوداتهم شرك أكبر مخرج من الملّة، ثم الشفاعة من حيث هي نوعان:

شفاعة منفية وشفاعة مثبتة.

وضابط الشفاعة المنفيـة هـي الـتي نفاهـا القـرآن وأبطلهـا النبي صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّم.

قال الله -تعالى- : (**قُل لِّلَّهِ الشَّـفَاعَةُ جَمِيعـاً**) [الزمـر : 44]. ولا يأذن فيها للمشـركين ولا لمعبـوداتهم وقـال: (**مَـن ذَا الَّذِي يَشْفَعُ عِنْدَهُ إِلاَّ بِإِذْنِهِ**) [البقـرة : 255] واللـه لا يـأذن في الشفاعة إلا للموحدين لا للمشركين؛ فهـي شـفاعة منفيـة؛ لأنها شركية؛ شرك أكبر.

وشفاعة مثبتة وهي التي أثبتها القـرآن بشـروطها؛ والمثبتـة أيضًا أنواع؛ منها ما هو خاص ومنها ما هو مشترك.

والشـافعون هـم أوليـاء اللـهِ المتقـون يشـفعون فـي أهـل الكبائر؛ كما في الحديث قال صَلَّى اللهُ عَلَيْـهِ وَسَـلَّمَ: ((جُعلـت شفاعتي لأهل الكبائر من أمتي)).

والمثبتة منها الخاص ومنها المشترك:

فالخاص بالنبي صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ شفاعتان:

الشفاعة الأولى: هي الشفاعة في أهـل المحشـر ليقضـي الله -عَزَّ وَجَلَّ- بينهم حـتى ينصـرفوا مـن المحشـر؛ فريـقٌ فـي الجنة وفريقٌ في السعير؛ وهي الشفاعة العظمى، وهي المقام المحمود الذي يحمده فيه الأوّلون والآخرون؛ وهذه الشــفاعة لا تكـون لأحـد مـن الرسـل والأنبيـاء إلا لمحمـد صَـلَّى اللـهُ عَلَيْـهِ

وسَلَّمَ؛ أظهر الله فضله على جميع الرسل والأنبياء وغيرهم من باب أولى؛ ثم يبدأها النبي صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وسَـلَّمَ بـالتقرب إلـى الله، يسجد سجدة تحت العرش حتى لا يرفع رأسه؛ حتى يُقـال له: ((ارفع رأسك، وقل يُسـمع وسَـلْ تُعطـى واشـفع تُشـفّع))، ويقول: (أمتي أمتي)؛ فتكون هٰذه الشفاعة لفصل القضـاء بيـن الأمم جميعا من لدن آدم إلى يوم القيامة، بعدما عُرضـت علـى أولي العزم: على آدم وعلى موسى وعلى إبراهيـم وعلـى نـوح وعيسى؛ كلُّهم يعتذر حتى يأتوا إلى النبي صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وسَلَّمَ فيقول: (أنا لها)؛ ثم يُقال له أدخل من أمّتك مـن البـاب الأيمـن وهم شركاء الناس في سائر الأبواب.

والشفاعة الخاصة الثانية: في عمه أبي طالب؛ فقد كان لـه دور في حياته فـي الـدفاع عـن النـبي صَـلَّى اللـهُ عَلَيْـهِ وسَـلَّمَ والحماية؛ ولكن كُتبـت عليـه الشِّـقوة؛ لأنـه أتـى بأسـبابها وهـو التعصب مع المشركين لآلهتهم ودين آبائه وأجداده مع تيقنه بأن النبي صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وسَلَّمَ على حـق ودعـوته حـق؛ ولكـن مـا نفعه ذلك لأنه لم يقل لا إله إلا الله محمد رسول الله؛ (...) فما نفعه ذلك إلا أن النـبي صَـلَّى اللـهُ عَلَيْـهِ وسَـلَّمَ شـفع فيـه فـي التخفيف عنه مـن العـذاب؛ ولمـا قيـل للنـبي صَـلَّى اللـهُ عَلَيْـهِ وسَلَّمَ كان أبو طالب يحميك ويفعل كذا وكذا هل نفعته بشيء؟ قال: (نعم هو في ضحضاح من نار ولـولا أنـا لكـان فـي الـدرك الأسفل من النار)؛ أي: لولا الشفاعة التي أذن الله -عَـزَّ وّجَـلَّ- له فيها.

والشفاعة المشتركة: شفاعة الرسل والأنبيـاء فـي أوسـاط الموحدين وشفاعة المؤمنين، وشفاعة النـبي صَـلَّى اللـهُ عَلَيْـهِ وسَلَّمَ في أقوام ليخرجوا من النار إلـى الجنـة؛ فهـذه مشـتركة بين الرسل وأتباع الرسل؛ بـل الملائكـة، وقـد جـاء فـي حـديث الشفاعة أن الله -عَـزَّ وّجَـلَّ- يقـول: "شـفعت الملائكـة وشـفع الرسل والأنبياء والمؤمنون ولـم يبقـى إلا أرحـم الراحميـن، ثـم يُخرج أقوامًا من النار قد امتحشوا، فيوضـعون فـي نهـر الحيـاة ويُرش عليهم من ماء الجنة فينبتون كما تنبت الحِبّة فـي حميـل السيل ثم يعيد الله إليهم أجسادهم ويدخلهم الجنة".

وهذا من فضل الله -عَزَّ وَّجَلَّ- على أهل التوحيد أنه لا يخلد أحد منهم فـي النـار؛ بـل مـن عُـذب مـن أهـل التوحيـد فبقـدر جريمته، ومن عفا الله عنـه أو محّصـه الموقـف والشـدائد ولـم يدخل النار؛ فهذا أخف والحكم في الخليقة لله -تَبَارَكَ وَتَعَالىٰ-.

وأما الناجون -باتفـاق أئمـة العلـم- النـاجون مـن النـار، هـم المقربون وأصحاب اليمين؛ لأن الله قسَّم أهـل الإتبـاع للرسـل إلى ثلاثة أقسام:

المقرّبــون وأصــحاب اليميــن والظــالمين لأنفســهم؛ فأمــا المقربــون وأصــحاب اليميــن فلا يــدخلون النــار ولا يســمعون حسيسها.

وأمـا الظـالمون لأنفسـهم فهـم تحـت المشـيئة، منهـم مـن يُمحَّـص قبـل دخـول النـار فيكـون جـزاءً لـه فـي وقـوعه فـي المعاصي في حياة العمل وتقصيره فـي مـا أوجـب اللـه عليـه، ومنهـم مـن لا تطهـره إلا النـار لِعِظـم ذنـوبهم؛ فتكـون فيهـم الشفاعة.

المتن:

قال الشيخ محمد بن عبد الوهاب –رحمه الله تعالى-:

باب قول الله تعالى: (إنك لا تهدي من أحببت)

وفي الصحيح عن ابن المسيب عن أبيه قال: "لمـا حضـرت أبا طالب الوفاة جاءه رسول الله صلى الله عليه وسلم وعنـده عبد الله بن أبي أمية وأبو جهل؛ فقال له: (يا عم، قل: لا إله إلا الله، كلمة أحاج لك بها عند الله)، فقالا له: أترغب عن ملة عبد

المطلب؟ فأعاد عليـه النـبي صـلى اللـه عليـه وسـلم؛ فأعـادا، فكان آخر ما قال: هو على ملة عبد المطلب، وأبى أن يقول: لا إله إلا الله؛ فقال النبي صلى الله عليه وسلم: (لاسـتغفرن لـك ما لم أنه عنك)، فأنزل الله -عز وجل-: (مَا كَـانَ لِلنَّبِـيِّ وَالَّـذِينَ آمَنُواْ أَن يَسْتَغْفِرُواْ لِلْمُشْرِكِينَ)[التوبة : 113]

وأنزل الله في أبي طالب: (إِنَّكَ لَا تَهْـدِي مَـنْ أَحْبَبْـتَ وَلَكِـنَّ اللَّهَ يَهْدِي مَن يَشَاءُ) [القصص: 56]

الشرح:

مناسبة هٰـذا البـاب لكتـاب التوحيـد: أن الـذين يزعمـون أن معبوداتهم يملكون لهـم شـيئًا مـن جلـب النفـع أو دفـع الضـر ؛ اعتقادهم هٰذا ينافي أصل التوحيد؛ لأنه إذا كان النبي صَلَّى اللـهُ عَلَيْهِ وسَلَّمَ لا يملك شيئًا لأحد من قرابته لن يأذن الله به؛ فمن دونه من باب أولى لا يملك لأحد جلب مصلحة أو دفع ضر ومـن زعم ذلك؛ فقد أشرك بالله شركًا أكبر ينافي أصل التوحيد؛ كما هو فِعْـلُ المشـركين مـع آلهتهـم ومعبـوداتهم، وفـي قـول اللـه تعالى: (إِنَّكَ لَا تَهْدِي مَنْ أَحْبَبْتَ) الخطاب للنبي صَلَّى اللهُ عَلَيْـهِ وسَلَّمَ، والمراد بالهداية المنفية عـن الرسـول -ومـن دونـه مـن باب أولى- هي هدايـة التوفيـق والسـداد ومحبـة الخيـر وصـلاح القلوب؛ هٰذه الهداية لا يملكها إلا الله -تَبَارَكَ وَتَعَالىٰ-.

وهداية أخرى يملكها الله -تَبَـارَكَ وَتَعَـالىٰ- ويملكهـا الرسـل والأنبياء وأتبـاعهم؛ وهـي هدايـة الإرشـاد والدلالـة علـى الخيـر، يملكها البشر؛ لهذا (...) أن الله -عَزَّ وّجَلَّ- أثبتهـا لرسـوله فـي موضع ونفاها عنه فـي موضـع آخـر؛ فقـال -عَـزَّ وّجَـلَّ-: (وَإِنَّـكَ لَتَهْدِي إِلَى صِرَاطٍ مُّسْتَقِيم) [الشورى: 52] فـأثبت لـه الهدايـة؛ والمراد بها هداية الدلالة والإرشاد والتعليم.

وقال: (إِنَّكَ لَا تَهْدِي مَنْ أَحْبَبْتَ) فنفى عنه هٰذه الهداية التي هي هداية التوفيق وصـلاح القلـوب؛ نُفيـت عـن الرسـول عليـه الصلاة والسـلام وغيـره مـن بـاب أولـى؛ فتلخـص مـن هٰـذا أن الهداية تنقسم إلى قسمين:

هداية توفيق وثبات وصلاح القلوب وهـذه لا يملكهـا إلا علام الغيوب.

وهداية بيان وتوجيه وإرشاد ودلالة على الخير وهـذه يملكهـا الرسل الكرام والأنبياء العظام وأتباعهم من الأنام.

وقصة أبـي طـالب عـمّ النـبي صَـلَّى اللـهُ عَلَيْـهِ وسَـلَّمَ مـن أعجب القصص؛ حيث قال: (..) ويدفع عنه خصومه ولم يسـلمه له أبدًا وعرف أن دينه خير الأديـان وأقـر بـذلك؛ ولكنـه أبـى أن يدخل في ديـن الإسـلام تعصـبًا لـدين آبـائه وأجـداده الـذي هـو الشرك الأكبر والكفر الأكبر -والعياذ بالله-؛ فمـن حـرص النـبي صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ على عمه وما بذل معه من معروف أثناء دعوته لما حضرته الوفاة وحضره (..) أبو جهل، وعبـد اللـه بـن عمير وحضر النبي صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ودعا: (يا عـم؛ قـل: لا إله إلا الله، كلمة أحاج لك بها عند الله))؛ فقالا له: "أترغب عن ملة عبد المطلب؟" وملة عبد المطلب ومن معه الكفـر؛ عبـادة الأصـنام والأوثـان وإنكـار البعـث والنشـور، أشـد الكفـر وكـان الرسول عليه الصلاة والسلام يكرر عليه الكلمة وهـم يكـررون؛ فغلبت عليهم الشقوة فآخر ما قال ثم لفـظ أنفاسـه أنـه علـى ملة عبد المطلب؛ أي: على الشرك الأكبر والكفر الأكبر خشـية أن تعيّره .. قريش؛ كما قيل له ولُقّن.

وقـد علـم اللـه أنـه لا خيـر فيـه ولـو علـم اللـه فيـه الخيـر لأسمعه؛ لكن أبى أن يسمع سماع قبـول أمـا سـماع قـامت بـه الحجة عليه فقد سمع ولا حجة له؛ فلما مات على الكفـر؛ قـال النبي صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: (لاستغفرن لك مـا لـم أنـه عنـك)؛ فأنزل الله -تبـارك وتعـالى-: (مَـا كَـانَ لِلنَّبِـيِّ وَالَّـذِينَ آمَنُـواْ أَن يَسْتَغْفِرُواْ لِلْمُشْرِكِينَ) [التوبة : 113] فلم يستغفر له بعد ذلك.

وهكـذا الحكـم حكـمٌ عـام لا يجـوز للمسـلم أن يسـتغفر للمشرك شركًا أكبر بعد أن يموت، لا يستغفر له أبـدًا ولـو كـان من أقرب الناس إليه لا أب ولا أم ولا قريـب ولا ابـن ولا غيـره، إذا مات على الكفر وعلى الشرك وهو متيقن ذلـك؛ لا يسـتغفر له أبدًا.

وأنزل في أبي طالب (إِنَّكَ لَا تَهْـدِي مَـنْ أَحْبَبْـتَ وَلَكِـنَّ اللَّـهَ يَهْـدِي مَـن يَشَـاءُ) هدايـة توفيـق وصـلاح للقلـوب وغيـر اللـه لا يملكها.

وشِبْهُ ذلك قصة إبراهيـم مـع أبـوه آزر الـذي دعـاه إبراهيـم بانفرادٍ ومع قومه فردوا عليه أقبح رد؛ حتى قالوا لـه: (لَئِـن لَّـمْ تَنتَـهِ لَأَرْجُمَنَّـكَ) [مريـم : 46]؛ قيـل: يرجمـه بالسـب والشـتم، وقيل: بالحجارة، والأنبياء أعطاهم الله مـن الحلـم والصـبر مـع الشجاعة ما لم يعط أحدًا من الناس؛ قال: (سَأَسْتَغْفِرُ لَكَ رَبِّي) [مريم : 47]ـ فيلقاه يوم القيامة يأتي على وجهه غبرة وقـترة؛ فيخاطب إبراهيم ربه ويـذكره بـأنه وعـده؛ قـال: وعـدتني أن لا تخزيني يوم القيامة، وأي خزي أخزى من (..) أبوه؟ فأقنعه الله -تَبَارَكَ وَتَعَالىٰ- حتى لم يبـق فـي قلبـه مـودة ولا محبـة لـه ولا عطف؛ فالإيمان إذا وقر في القلوب؛ بقي الإنسـان يـوالي فـي الله ويعادي في الله ويحـب فـي اللـه ويبغـض فـي اللـه بقطـع النظر عن الأنساب والأحساب والقرابة.

ثم أبو طالب شفع فيه النبي صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَـلَّمَ شـفاعة خاصة بأبي طالب ولم يشفع في أحد من أهل النـار سـواه؛ مـا شفع صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ في أبيه ولا شفع في أمه، شفع في أبي طالب؛ لأنه كان يحوطه ويحميه أثناء دعـوته مـن الخصـوم؛ فقال لعله تنفعه شـفاعتي فيكـون فـي ضحضـاح مـن نـار يبلـغ الكعبين يغلي منه أم دماغه؛ فيبقى دائمًا وأبدًا –أبد الآبدين- في هـٰذا الضحضاح -والعياذ بالله- من النار؛ لكنه أخـف مـن الـدرك الأسفل من النار -والعياذ بالله-.

هـٰذه شفاعة خاصة مـن جملـة شـفاعات النـبي صَـلَّى اللـهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ الخاصة به التي أعظمها شفاعته في فصل القضـاء بين الخلائق وفي عمه أبي طالب وفي اسـتفتاح بـاب الجنـة، لا يستفتح أحد قبله لأهل الجنـة فيـدخلون؛ ثلاث شـفاعات خاصـة بالنبي صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ.

وقضية الشفاعات هو (...) مع غيره مـن الملائكـة والرسـل والأنبياء والصالحين والله أعلم.

المتن:

فضيلة الشيخ: زيــد المدخـلي

بسم الله والحمد لله والصلاة والسلام على رسول الله

قال الشيخ محمد بن عبد الوهاب –رحمه الله تعالى-:

باب: ما جاء أن سبب كفر بني آدم وتركهم دينهم هـو الغلـو في الصالحين

وقول الله (: {يَا أَهْلَ الْكِتَابِ لا تَغْلُوا فِـي دِينِكُـمْ وَلا تَقُولُـوا عَلَى اللَّهِ إِلاَّ الْحَقَّ} [النساء: 171]

وفي الصحيح عن ابن عباس -رضي اللـه عنهمـا- فـي قـول الله تعالى: {وَقَالُوا لا تَذَرُنَّ آلِهَتَكُمْ وَلا تَذَرُنَّ وَدّاً وَلا سُـوَاعاً وَلا يَغُوثَ وَيَعُوقَ وَنَسْراً} [نوح: 23]

قال: "هذه أسماء رجال صالحين من قوم نوح؛ فلمـا هلكـوا أوحى الشيطان إلى قومهم أن انصبوا إلى مجالسهم التي كانوا يجلسون فيها أنصابًا، وسموها بأسمائهم؛ ففعلوا ولم تعبد؛ حتى إذا هلك أولئك ونُسيَ العلم عُبدت".

وقال ابن القيـم: قـال غيـر واحـد مـن السـلف: "لمـا مـاتوا عكفوا على قبورهم، ثم صوروا تماثيلهم، ثم طال عليهـم الأمـد فعبدوهم".

وعن عمر: أن رسول الله صلى اللـه عليـه وسـلم قـال: (لا تطروني كما أطرت النصارى ابن مريم؛ إنمـا أنـا عبـد؛ فقولـوا: عبد الله ورسوله) أخرجاه.

وقـال: قـال رسـول اللـه صـلى اللـه عليـه وسـلم: "إيـاكم والغلو; فإنما أهلك من كان قبلكم الغلو".

ولمسلم عن ابن مسعود: أن رسـول اللـه صـلى اللـه عليـه وسلم قال: (هلك المتنطعون - قالها ثلاثًا).

الشرح:

الحمد لله رب العالمين و صلى الله وسلم وبارك على عبده ورسوله نبينا محمد وعلى آله وصحبه أجمعين.

مناسبة هٰذا الباب لكتاب التوحيـد هـي: أن الغلـو الـذي هـو مجاوزة الحد؛ ومنـه: طلـب قضـاء الحاجـات وكشـف الكربـات التي لا يقدر عليها إلا الله من غيـر الله -تَبَـارَكَ وَتَعَـالىٰ- وهـذا شرك أكبر ينافي التوحيد.

بيّن المؤلف -رحمه الله- في هٰذا الباب سبب كفر بني آدم؛ ماهو؟ لكل شـيء سـبب وسـبب كفـر بنـي آدم: الغلـو؛ والغلـو معناه: مجاوزة الحـد المشـروع إلـى غيـر المشـروع؛ كمجـاوزة عبـادة اللـه وحـده لا شـريك لـه إلـى عبـادة الأصـنام والأوثـان، وكتجـاوز محبـة الصـالحين محبـة شـرعية إلـى محبتهـم محبـة شركية أو بدعية، من فَعل ذلك وقع في الغلـوّ؛ وكفـى بـه شـرًا أنه سبب شقاء بني آدم ووقـوعهم فـي الإشـراك بـالله -تَبَـارَكَ وَتَعَالىٰ- .

وقد ثبت عن ابن عباس -رضي اللـه عنهمـا- فيمـا لا مجـال للاجتهاد فيه قال: "أن الناس من لدن آدم عليه السـلام عشـرة قرون، كل قرن مائة سنة، كلهم على الحنيفيـة السـمحة، علـى التوحيد، ولم يكن فيهم مشرك حـتى حصـل الشـرك فـي قـوم نوح، وسببه الغلو في الصالحين".

كـان فيهـم علمـاء وكـانوا ينشـرون الخيـر يـأمرون وينهـون ويعلّمون؛ فلما ماتوا أسفوا عليهم، أسف قـومهم عليهـم أسـفًا شديدًا؛ ذكر الله أسماءهم (وَقَالُوا لَا تَذَرُنَّ آلِهَتَكُمْ وَلَا تَـذَرُنَّ وَدّاً وَلَا سُوَاعاً وَلَا يَغُوثَ وَيَعُوقَ وَنَسْراً) [نوح : 23] رجـال صـالحين مـاتوا فـي شـهر واحـد؛ فأوحى الشـيطان إلـى قـومهم عنـدما أسفوا عليهم وقال انصبوا إلى مجالسـهم أنصـابًا واعبـدوا اللـه عندها؛ هكذا دعوة الشيطان مرحليـة؛ لـم يقـل لهـم اعبـدوهم؛ لأنهم كانوا يعبدون اللـه -تَبَـارَكَ وَتَعَـالىٰ- وهـذا الشـرك طـارئ والأصل التوحيـد، والشـرك طـارئ علـى الأمـة، فلقلـة علمهـم نصبوا أنصابًا في مجالسهم وعكفوا عليها ويعبـدون اللـه عنـدها وكلما أصابتهم غفلة تذكروهم وقاموا بالعبادة؛ فلما ذهب ذلكـم الجيل وأتى جيل آخر؛ قيل إنهم مشوا على طريقة الجيل الأول في البدعة، وقيل إن الشيطان نقلهم من البدعـة إلـى الشـرك الأكبر سواء هـو الجيـل الثـاني أو الثـالث؛ المهـم أن الشـيطان نقلهم من البدعة التي هي بريد الكفر إلى الكفـر بـالله -تَبَـارَكَ وَتَعَالىٰ-؛ فأوحى إليهم؛ فقال: إنّ مـن كـان قبلكـم يستنصـرون بهم فينصرون ويسترزقون بهم فيرزقون وهكذا، يستغيثون بهم

فيغاثون وأنتم إن أردتم ذلـك فـافعلوا كمـا فعلـوا؛ فوقعـوا فـي الشرك بالله -تَبَارَكَ وَتَعَالىٰ-؛ يستغيثون بهم فيما لا يقـدر عليـه إلا الله -تَبَارَكَ وَتَعَالىٰ-، وهو نفس الغلو في الصالحين يطلبــون منهم نزول الغيث قضاء الحاجة ودفع الكربـة ومـا شـاكل ذلـك من الأمور التي لا تُطلب إلا من الله ولا يقضيها إلا اللــه -تَبَـارَكَ وَتَعَـالىٰ-؛ فجـاءت قصـتهم لهـذه الأمـة ليأخـذوا منهـا العظـة والعبرة؛ ثم بعد ذلك الزمن بعـد قـوم نـوح الـذي أهلكهـم اللـه بـالغرق؛ بسـبب كفرهـم ورد دعـوة المرسـلين؛ بقيـت هٰـذه الأصنام حتى جاءت بعثة النبي صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فكان أهل الجاهلية يعبدونها وهي موزعة في جزيرة العرب كل قبيلـة لهـا صنم؛ فشت الأصنام بسبب التوارث، ورثوها عن الأشرار الذين قبلهم عُبّاد الأصـنام وبسـبب قلـة العلمـاء؛ فشـى الجهـل وقـل العلم وأهله، صارت فترات إلا أنه لم يكـن إهمـال أبـدًا؛ الحجـة قائمة بعالم يوجد؛ لكنه إندثر العلم وفي مقدمته التوحيد فأصبح العمل الطيب عندهم الغلو في الصالحين وأن لهم كرامات وأن لهـم القداسـات، ولا تُطلـب الحاجـات إلا بواسـطتهم، والـذي لا يطلب حاجته بواسطة الأولياء وأهل الأضحية؛ معناه ما اعــترف بفضلهم ولا قدرهم؛ فتوارثوا هٰـذا الشر المستطير وهو الشـرك بالله -تَبَارَكَ وَتَعَالىٰ- بسبب الغلو في الصالحين.

الصالحون من الملائكة والأنبياء والرسـل والصـالح بنـي آدم هـؤلاء يُحَبّـون؛ يحبهـم المسـلمون محبـة شـرعية، ويتمنـون أن يصلوا إلى الأعمال التي يعملونها ويقتدون بهم، ما سمعوه عنـه من الأقوال الطيبة والأعمـال الصـالحة يقتـدون بهـم ويحبـونهم وقد بشرهم النبي صلى الله عليه وسلم بقوله: ((المرء مع من أحب)).

إذا أحببـت الصـالحين ومشـيت علـى الأثـر؛ حُشـرت فـي زمرتهم، مـع الرسـل والأنبيـاء والصـالحين مـن عبـاد اللـه فـي زمرتهم، ومن أحب الفجـار والفسـاق والمشـركين؛ حُشـر فـي زمرتهـم؛ كمـا قـال اللـه -عَـزَّ وّجَـلَّ-: (احْشُـرُوا الَّـذِينَ ظَلَمُـوا

وَأَزْوَاجَهُمْ) [الصافات : 22] والمراد: بالأزواج القرنـاء قرنـاءهم على الباطل.

والشاهد من هـٰذا أنه فشى الشرك واستمر أزمنة متعاقبــة، ويبعث الله الرسل والأنبياء بين وقت وآخر؛ الرسـل بالرسـالات الجديدة والأنبيـاء يبلغـون الرسـالات الـتي جـاء بهـا المرسـلون ويفسرونها ويشـرحونها للنـاس، والعلمـاء الـذين يأخـذون هـٰـذا الميراث كذلك يبينون هـٰذا الميراث ويقوم ببيانهم الحجــة علـى الناس؛ والخلاصة أن الغلو والإفراط والتنطـع هـٰـذه الثلاثـة مـن أسباب الوقوع في الشرك -تَبَارَكَ وَتَعَالىٰ-.

أما الغلو فهو مجاوزة الحـد المـأذون فيـه شـرعًا إلـى مـا لا يؤذن فيه؛ كمجاوزتهم التوحيد إلى الشـرك، والمحبـة الشـرعية إلــى المحبــة الشــركية البدعيــة، وهكــذا الإطــراء الغلــو فــي الصالحين حـتى يرفعـه عـن منزلتـه إلـى منزلـة الـرب -تَبَـارَكَ وَتَعَالىٰ-؛ فيقع في الكفر؛ لذا خاف النبي صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَـلَّمَ على أمّته؛ فقال: (لا تطروني كما أطرت النصـارى ابـن مريـم) النصارى أطروا في مدح عيسى؛ حتى قـالوا: إنـه ابـن اللـه، أو قالوا هو الله، وقالوا ثالث ثلاثة، وهذا من الإطراء؛ لأنهم أعطوا المخلوق مـالا يكـون إلا للخـالق -تَبَـارَكَ وَتَعَـالىٰ-؛ فوقعـوا فـي أعظم الشرك؛ فحذر النبي صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ أمته أن يكون منهم إطراء له كما أطرت النصارى عيسى ابن مريم؛ فتجاوزوا في مـدحه الحـق إلـى الباطـل. وكـان يحـذر ممـا صـنع اليهـود والنصارى في اتخاذ قبور أوليائهم وصالحيهم مساجد؛ نهـى عـن ذلك؛ فقال:(اللهم لا تجعل قبري وثنًـا يُعبـد، اشـتد غضـب اللـه قبور أوليائهم وصالحيهم مساجد يُحذّر مما صـنعوا)، وقـال وهـو في مرض الموت: (لعنة الله على اليهود والنصارى اتخذوا قبور أوليائهم مساجد يحـذر ممـا صـنعوا)، ومـا ذلـك إلا لأن الشـرك أعظم الذنوب، والإطراء والغلو والتنطع هو الذي جر الناس إلى الإشراك بالله -تَبَارَكَ وَتَعَالىٰ-

المتن:

بسم الله، والحمد لله، والصلاة والسلام على رسول الله

قال الشيخ محمد بن عبد الوهاب –رحمه الله تعالى-:

باب ما جاء من التغليظ فيمن عبد الله عند قبر رجل صالح؛ فكيف إذا عبده؟!

فـي الصـحيح عـن عائشـة -رضـي اللـه عنهـا- أن أم سـلمة ذكرت لرسول الله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ كنيسة رأتها في أرض الحبشـة ومـا فيهـا مـن الصـور؛ فقـال: (أولئـك إذا مـات فيهـم الرجل الصالح أو العبد الصالح بنوا على قبره مسجدًا، وصــوروا فيه تلك الصور أولئك شرار الخلق عند الله)، فهؤلاء جمعوا بين الفتنتين، فتنة القبور، وفتنة التماثيل.

ولهما عنها قالت: لمـا نُـزل برسـول اللـه صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ طفق يطرح خميصة له على وجهه، فإذا اغتم بها كشفها؛ فقال -وهو كذلك-: (لعنة اللـه علـى اليهـود والنصـارى، اتخـذوا قبور أنبيائهم مساجد يحذر ما صـنعوا)، ولـولا ذلـك أُبـرز قـبره، غير أنه خشي أن يتخذ مسجدًا. أخرجاه.

ولمسلم عن جندب بن عبد الله قـال: سـمعت النـبي صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قبل أن يموت بخمس وهو يقول: (إني أبرأ إلى الله أن يكون لي منكم خليل، فإن اللـه قـد اتخـذني خليلاً، كمـا اتخذ إبراهيم خليلاً، ولو كنت متخذًا من أمتي خليلاً؛ لاتخذت أبـا بكر خليلاً، ألا وإن من كان قبلكـم كـانوا يتخـذون قبـور أنبيـائهم مساجد، ألا فلا تتخذوا القبور مساجد؛ فإني أنهاكم عن ذلك)).

فقد نهى عنه في آخر حياته، ثم إنه لعن -وهو فـي السـياق- من فعله، والصلاة عندها مـن ذلـك، وإن لـم يُبْـنَ مسـجد، وهـو معنى قولها: خُشي أن يُتَخَذ مسجدًا؛ فـإن الصـحابة لـم يكونـوا ليبنوا حول قبره مسجدًا، وكل موضع قُصدت الصـلاة فيـه فقـد

اتخذ مسجدًا؛ بل كل موضع يصلى فيه يسمى مسجدًا؛ كما قال صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: ((جُعلت لي الأرض مسجدًا وطهورًا)).

ولأحمد بسند جيد عن ابن مسعود رضي الله عنـه مرفوعًـا: ((إن من شرار الناس من تدركهم الساعة وهـم أحيـاء، والـذين يتخذون القبور مساجد)) رواه أبو حاتم في صحيحه.

الشرح:

الحمد للـه والصـلاة والسـلام علـى رسـول اللـه وعلـى آلـه وصحبه ومن آمن به واهتدى بهداه.

المناسـبة بيـن هٰـذا البـاب وبيـن كتـاب التوحيـد فـي غايـة الظهور وذلك أن من عبد أصحاب الأضرحة وتوجه إليهم بشـيء من العبادات ذات الأنواع المتعددة؛ ففعله ينافي أصل التوحيـد؛ مـن عبـد أصـحاب الأضـرحة جعلهـم شـركاء مـع اللـه -تَبَـارَكَ وَتَعَالىٰ- ومن جعل مع الله شريكًا؛ فقد أشرك بالله شركًا أكـبر ينافي أصل التوحيد، ومن عبد الله عنـد قـبر رجـل صـالح؛ فقـد أتى ببدعة تنافي كمال التوحيد؛ فرق بيـن الشـرك الأكـبر وبيـن البدعة؛ فالشـرك ينـافي أصـل التوحيـد، والبدعـة تنـافي كمـال التوحيد؛ لذا جاء النهي في الشرع عن عبـادة غيـر اللـه -تَبَـارَكَ وَتَعَالىٰ-؛ كما قال -عَزَّ وّجَلَّ-: (وَأَنَّ الْمَسَاجِدَ لِلَّـهِ فَلَا تَـدْعُوا مَـعَ اللَّهِ أَحَداً) [الجن: 18].

وقال سبحانه (وَلاَ تَدْعُ مِن دُونِ اللّهِ مَا لاَ يَنفَعُـكَ وَلاَ يَضُـرُّكَ فَإِن فَعَلْتَ فَإِنَّـكَ إِذاً مِّـنَ الظَّـالِمِينَ) [يـونس: 106]، إلـى غيـر ذلك من النصوص التي فيها التحريم لعبادة أحد مع الله -تَبَـارَكَ وَتَعَالىٰ- سواء مشاركة أو استدلالاً، وقوله ما جاء فـي التغليـظ؛ أي: زجر وشدة التحريم لمن عبد الله عنـد قـبر رجـل صـالح أو عبده؛ فكل صـاحب عمـل مـن هـذين العملين يسـتحق الزجـر بالعقوبة والتعزير سواء بالكلام أو غيره؛ إلا أن من عبد غير الله أشد جرمًا؛ لأنه أشرك شركًا أكبر، ومن عبد الله عند قبر رجـل صالح؛ فهي من البدع المحرمة التي تترتب عليهـا العقوبـة غيـر أنه لم يكن مشركًا شركًا أكبر يخرجه من الإسلام.

المتن:

قـال: وفـي الصـحيح عـن عائشـة -رضـي اللـه عنهـا- أن أم سلمة ذكرت لرسول الله صَلَّى اللهُ عَلَيْـهِ وَسَـلَّمَ كنيسـة رأتهـا في أرض الحبشة وما فيها من الصور؛ فقال: ((أولئـك إذا مـات فيهم الرجل الصالح أو العبد الصـالح بنـوا علـى قـبره مسـجدًا، وصوروا فيه تلك الصور أولئك شرار الخلق عند اللـه))؛ فهـؤلاء جمعوا بين الفتنتين، فتنة القبور، وفتنة التماثيل.

الشرح:

كان النبي صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يهتم ببيان الشرك وذرائعـه ووسائله فيعيد ذلك ويكرره بالبيان والوصايا؛ لأن الشرك أعظم الذنوب، الشرك الأكبر أعظـم الـذنوب وصـاحبه إن مـات عليـه فهـو محـروم مـن رحمـة اللـه -عَـزَّ وّجَـلَّ- مـأواه النـار وبئـس المصير.

فكان النبي صَـلَّى اللـهُ عَلَيْـهِ وَسَـلَّمَ يـبين الشـرك وأنـواعه ويحذر الأمة منه ومن وسائله؛ لأن مـن وقـع فـي الوسـيلة؛ أي: سبب الشرك أدخله الشيطان -والعياذ بالله- في الوسوسة فـي الشرك الذي هو الذنب الأكبر الذي من مات عليه؛ فـإن اللـه لا يغفر له بدليل قولِ الله-تعالى-: (إِنَّ اللَّهَ لاَ يَغْفِـرُ أَن يُشْـرَكَ بِـهِ وَيَغْفِرُ مَا دُونَ ذَلِكَ لِمَن يَشَاءُ) [النساء : 48].

وما يُفعل اليوم وقبل اليوم في العالم الإسلامي،(..) الكفر، قد اختاروا لأنفسهم الكفر -والعياذ بالله-؛ لكن العالم الإسـلامي الـذين بُنيـت القبـور فـي المسـاجد وكُسـيت بالثيـاب، ودُمـرت وطُيبت وعلقت النذور، ومع الأسف يـدخل النـاس يصـلون فـي المسجد وفيه القبر مزين.

ثم هناك دعاة وهم من الـدعاة علـى أبـواب جهنـم؛ [الـذين يقولون للناس] يطوفونهم على القبر، ويستلمون منهم النـذور، والناس لهم حاجات كل واحد يطلب حـاجته مـن صـاحب القـبر ليرفعها إلى الله لتُقضى بتوجيه السدنة عُبّاد المادة.

والإسلام ولله الحمد ظاهر، ودعاته موجودون والقـرآن بيـن أيدي الناس في غاية الكثرة؛ ومع هـٰذا تجد أنه هـٰـذه الطوائـف الشريرة يدعون الناس إلـى عبـادة هـٰـذه الأضـرحة وفـي البلـد الإسلامي وفي الدولة المسلمة! وهذا أمر مؤسـف نسـأل اللـه -عَزَّ وّجَلَّ- أن يُبصرهم؛ حتى يعرفوا حـق اللـه -تَبَـارَكَ وَتَعَـالىٰ- ويعرفوا قدر المخلـوق وأنـه لا يسـتحق مـن العبـادة لا حـي ولا ميت.

والشاهد من هـٰذا أن الرسول عليه الصـلاة والسـلام بُعـث ليحطم الأصنام والأوثان، ويقضـي علـى الرذائـل والفسـاد فـي الأرض، واستمر على ذلك وهو في آخر حياته يحذر النـاس مـن الشرك بالله -تَبَارَكَ وَتَعَالىٰ-، ويحذرهم من مشابهة من لا خلاق لهم اليهود والنصارى الذي أبوا من الإيمان برسالة محمد صَـلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَـلَّمَ، ومـن كفـر برسـالة رسـول واحـد؛ فقـد كفـر بجميـع المرسـلين؛ يعنـي إن ادّعـوا بـأنهم يؤمنـون بموسـى وعيسـى؛ فهـم كـذابون فـي دعـواهم؛ لأنـه مـن آمـن بموسـى وعيسى حقًا وصدقًا وجاء محمد صَلَّى اللهُ عَلَيْـهِ وَسَـلَّمَ؛ وجـب عليه أن يؤمن به وبرسالته ولا يعبد الله إلا بالشرع الذي جاء به محمد صَلَّى اللـهُ عَلَيْـهِ وَسَـلَّمَ، ولا يعبـد بملـة عيسـى ولا بملـة موسى في الشرائع؛ وأما التوحيد فـإن الأنبيـاء والرسـل جميعًـا متفقون على وجـوب توحيـد اللـه وعـدم الإشـراك بـه لا خلاف بينهـم؛ إنمـا الاختلاف فـي الشـرائع تختلـف فـي التكـاليف الشـرعية، وقـد قـال اللـه فيهـا: (لِكُـلٍّ جَعَلْنَـا مِنكُـمْ شِـرْعَةً وَمِنْهَاجاً) [المائدة:48] وأما التوحيد فهـو أصـل الـدين وقاعـدته اتفقت عليه دعوة الرسل والأنبياء، وبه أرسـلوا وأول مـا يـدعو النبي أو الرسـول إليـه مـن الأعمـال؛ توحيـد اللـه والنهـي عـن الإشراك به؛ لذا شدد النـبي صَـلَّى اللـهُ عَلَيْـهِ وَسَـلَّمَ فـي آخـر حياته ليحذّر الأمة من الوقوع في ما وقع فيه اليهود والنصـارى؛ حيث بنوا القبـور فـي المسـاجد أو بنـوا المسـاجد علـى القبـور وغلوا فيهم حتى أعطوهم مـا كـان للـه -تبـارك وتعـالى- وحـده دون سواه؛ فذمّهم النبي صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، وبيّـن حـالهم؛ لأنه إذا مات فيهم الرجل الصالح بنـوا علـى قـبره مسـجدً؛ا ثـم

أخـذوا يغلـون فيـه ويطلبـون منـه أن يرفـع حاجـاتهم إلـى اللـه -تَبَارَكَ وَتَعَالىٰ- لتُقضى.

وحجة من فتنوا من المروجين للوثنينة والقبوريـة فـي هٰـذا الزمن؛ يقولون: إنا لا ندعي فيهم خلقا ولا إيجادًا وإنما قوم لهم قداسة ولهم فضل وهم عند الله لهم ما يشاءون؛ فنحن نطلـب منهم أن يرفعـوا حاجاتنـا إلـى الله؛ هٰـذا غايـة مـا يطلبـونه أن يرفعوا حاجاتهم إلى الله؛ يعني ليكونوا واسطة، الموتى يكونـوا واسطة بين الأحياء من بني آدم وبين الحي القيوم عالم الغيـب والشهادة؛ فيُعتبرون بذلك مشركين شركًا أكبر مخرج مـن ملـة الإسـلام إن كـان عنـدهم إسـلام قبـل ذلـك؛ لأن اللـه -سـبحانه وَتَعَـالىٰ- لا يحتـاج إلـى وسـائط فـي الـدعاء وقضـاء الحاجـات وتفريج الكربات هو أعلم بـالخلق مـن أنفسـهم بأنفسـهم، وقـد قال -عز شأنه-: (وَإِذَا سَـأَلَكَ عِبَـادِي عَنِّـي فَـإِنِّي قَرِيـبٌ أُجِيـبُ دَعْـوَةَ الـدَّاعِ إِذَا دَعَـانِ فَلْيَسْـتَجِيبُواْ لِـي وَلْيُؤْمِنُـواْ بِـي لَعَلَّهُـمْ يَرْشُدُونَ) [البقرة: 186]

يجيب دعوة الداعي إذا دعاه بشرطين:

الإيمان به وبما أنزله علـى رسـوله محمـد صَـلَّى اللـهُ عَلَيْـهِ وَسَلَّمَ والاستجابة له؛ لأنه نادى الناس أن يتبعوا مـا أنزلـه علـى رسوله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَـلَّمَ، وقـوله -عـز شـأنه-: (اتَّبِعُـواْ مَـا أُنزِلَ إِلَيْكُم مِّن رَّبِّكُمْ وَلاَ تَتَّبِعُواْ مِن دُونِهِ أَوْلِيَاء قَلِيلاً مَّا تَذَكَّرُونَ) فأمر اللـه -تَبَـارَكَ وَتَعَـالىٰ- بإتبـاع رسـوله الـذي أرسـله رحمـة للعـالمين، ونهـى النـاس أن يتخـذوا وسـائط بينـه وبيـن خلقـه واعتبرهم بذلك مشركين شركًا أكبر، وفـي عهـد النبـوة قـاتلهم النبي صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ بسبب هٰـذه الجريمة؛ بسـبب أنهـم يتخـذون معبـودات أصـنامًا وأوثانًـا، ويتوجهـون إليهـم ليرفعـوا حاجاتهم إلى الله لتُقضـى وتفـرج كربـاتهم، وينـزل عليهـم مـن الغيث ومن الرزق ما يريدون إلى غير ذلك من المطـالب الـتي تُطلب من الله بدون واسطة، ومن اتخذ واسـطة فهـو مشـرك كافر؛ لذا قـاتلهم النـبي صَـلَّى اللـهُ عَلَيْـهِ وَسَـلَّمَ لأنهـم اتخـذوا وسائط؛ قاتلهم وسبا ذراريهم ونساءهم وأخذ أموالهم بأمر الله -تَبَارَكَ وَتَعَالىٰ- فجعلهم جميعًا غنيمة للمسلمين الموحدين؛ لأنه

مشركون؛ وكان من حججهم ما قصه القرآن؛ قالوا: (مَا نَعْبُدُهُمْ إِلَّا لِيُقَرِّبُونَا إِلَى اللَّهِ زُلْفَى)[الزمر: 3] نفس الحجـة الـتي يحتـج بها مروّجو القبورية في هذا الزمان؛ الذين يقولـون مـا ننـاديهم ونستغيث بهم إلا ليرفعوا حاجتنا إلى الله فتقضى؛ أولئك قـالوا: ما نعبدهم –أي: الأصنام والأوثان- إلا ليقربونـا إلـى اللـه زلفـى؛ فذمهم الله وأباح دماءهم وأمـوالهم ونسـاءهم وذراريهـم لأنهـم مشركون شركًا أكبر؛ وهكذا كـل مـن وقـع فـي القبوريـة؛ فهـو مشرك شرك اكبر؛ كل من دعا أصحاب الأضرحة واعتقد فيهـم أنه يرفعون الحاجات إلى الله؛ فإنه مشرك شرك أكـبر؛ لـذا ذم النبي صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ اليهود والنصارى؛ لأنهم اتخذوا قبور أنبيائهم وصالحيهم مساجد، فعبدوا أصـحاب الأضـرحة أو عبـدوا الله عند قبورهم؛ فهم يترددون بين أمرين:

الأمر الأول: الشرك الأكبر، والأمر الثاني: البدعـة المضـلة وهي عبادة الله عند القبور؛ لذا قرر العلماء، قرروا بطلان صلاة مـن صـلى فـي مسـجد فيـه ضـريح؛ يعنـي قـبر يتـبرك النـاس بصاحب الضريح ويستغيثون به إن الصلاة باطل فيـه ويقـع فـي ذلك كثيرًا جماعة التبليغ في (...) لا مانع عندهم أن يصـلوا فـي قبر فيه ضريح ولا يقولوا للناس هٰـذا شـرك بـالله -عَـزَّ وّجَـلَّ-، وحجتهم أنهم إذا قالوا للناس هٰـذا شرك ما اتبعوهم ولا سمحوا لهم أن يجلسوا في المسجد؛ فهو عذر لا يُعذّر؛ فالإنسان إذا لم يستطع أن ينكر المنكر لا يشارك في المنكر؛ أخف شيء وأقـل شيء منه أنه لا يجوز له أن يشارك في المنكـر إذا لـم يسـتطع أن يغيـر المنكـر لا باللسـان ولا باليـد فعليـه أن يبغضـه ثـم لا يشارك فيه؛ بل يتنحى عنه ليسلم وينجو هو بنفسه.

والمراد بالفتنة هنا فتنة الشـرك الـتي يقـع فيهـا القبوريـون وفتنة التماثيل؛ نحت الصور، تجسيمها ومن ثمـة تُعبـد مـن دون الله -تَبَارَكَ وَتَعَالىٰ- فالتصوير من وسائلها تصوير التماثيـل مـن وسائل الشرك، وعبادتها والتـوجه إليهـا بالطلبـات مـن الشـرك الأكبر الذي حذر منه النبي صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ.

ولما خُشي على قبر النبي صَلَّى اللهُ عَلَيْـهِ وَسَـلَّمَ مـن أن يفتن به الناس ويكون لهم عيدًا ومزارًا دائمًا ومن ثم يغلون فيه

غلوًا؛ لم يُدفن في البقيع مع أصحابه؛ وإنما دفن في بيتــه دفــن في حجرة أم المؤمنين عائشة –رضي الله عنها- وكانت الحجــر جميعها خارج المسجد، وما دخلت في المسجد إلا بعد ذلك عند التوسيعات في عهد الوليد ابن عبد الملك وبعد ذلك، ولــم يكــن ذلك في عهد الصحابة إنما بعد ذلك توسع المسجد ولا شــك أن المسجد بحاجة للتوسعة، وفي هـٰذا الزمن توسعوا في المسجد على أكبر نقـاط ولـو لـم تكـن هـٰـذه السـعة مـا اتسـع للنـاس؛ فأدخلوا الحجرة صارت داخل المسجد، وعملـوا لـه وسـائل لئلا يتجه الناس في صلاتهم إلى قبور الرسول عليه الصلاة والسلام أبو بكر وعمر بقدر ما استطاعوا في هـٰذا الزمن، جعلـوا أشـياء تحول بين المصلين وبين الاتجاه إلى القبر بقـدر مـا اسـتطاعوا ولا حجة للقبوريين في كون قبر النبي صَـلَّى اللـهُ عَلَيْـهِ وَسَـلَّمَ في المسجد، كثيرًا ما يحتجون بهذا يقولون: :لو كانت حرام لــو كانت الأضرحة في المساجد حرام ما وضع قبر النبي صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ في المسجد"، وهم يعرفـون التاريـخ لكـن يلبسـون على كثير من الناس أنه لا مانع من وضع الضريح فـي المسـجد بدليل أن قبر الرسول في المسجد؛ والرسول -كما أسلفت- لم يقبر في المسجد، وإنما قبر عليه الصلاة والسـلام فـي بيـت أم المؤمنين عائشة، وكانت الحجر كلهـا خـارج المسـجد، وبجـانب المسجد حتى جاءت الحاجة الملحـة إلـى التوسـعة؛ فعملـوا مـا يستطيعون عليه ليصرفوا الناس يحولوا بينهم وبين التوجه إلــى القبر في حال صلاتهم، ويباح السلام على النبي صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ؛ لا حرج في من زار المسـجد وصـلى بالمسـجد لا حـرج؛ بل يسن في حقه أن يسلم على النبي صَـلَّى اللـهُ عَلَيْـهِ وَسَـلَّمَ وصاحبيه ثم ينصرف، ولا يقف عند القبور ولا يـدعُ وإنمـا يسـلم وينصرف وإذا أراد أن يدعو يتوجه إلى القبلة ثم يدعو.

المتن:

ولمسلم عن جندب بن عبد الله قـال: سـمعت النـبي صَـلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قبل أن يموت بخمس وهو يقـول: ((إنـي أبـرأ إلى الله أن يكون لي منكم خليل، فـإن اللـه قـد اتخـذني خليلاً،

كما اتخذ إبراهيم خليلاً، ولو كنت متخذًا من أمتي خليلاً، لاتخذت أبا بكر خليلاً، ألا وإن من كان قبلكم كانوا يتخذون قبور أنبيـائهم مساجد، ألا فلا تتخذوا القبور مساجد، فإني أنهاكم عن ذلك)).

الشرح:

الخلة أرفع درجة من المحبة محبة خاصة، والنبي صَلَّى اللـهُ عَلَيْهِ وَسَـلَّمَ أفضـل الخلـق فاتخـذه اللـه خليلاً؛ أي: محبًـا أشـد المحبة فأحب الخلق لله -عَزَّ وّجَلَّ- رسول الله صَلَّى اللهُ عَلَيْـهِ وَسَـلَّمَ؛ فاختـار اللـه -عَـزَّ وّجَـلَّ- مـن الخلـق الرسـل والأنبيـاء فالرسل والأنبياء أحب الخلق إلى الله -تَبَارَكَ وَتَعَـالىٰ- وأنصـح الخلـق للخلـق؛ الرسـل الكـرام والأنبيـاء العظـام، واختـار مـن الرسل والأنبياء أولي العـزم الخمسـة محمـد صَـلَّى اللـهُ عَلَيْـهِ وَسَلَّمَ وإبراهيم وموسى وعيسى ونوح هـؤلاء أولـي العـزم مـن الرسل هم أفضل الرسل.

وأفضل أولي العزم اثنـان الخليلان إبراهيـم ومحمـد عليهمـا الصلاة والسلام وأفضل الخلـق علـى الإطلاق هـو محمـد صَـلَّى اللهُ عَلَيْـهِ وَسَـلَّمَ الـذي ختـم اللـه برسـالته الرسـالات وبنبـوته النبـوات؛ فصـار أفضـل الخلـق لـه مـن الخصـائص والفضـائل والمزايا ما لم تكن لنبي ولا لرسول ممـن كـان قبلـه؛ وإذا قلنـا إنه أفضل الخلق على الإطلاق لا يدل ذلك على وجود نقص في بقية الرسل والأنبياء وإنما لكـل فضـله ولكـل خصائصـه، ولكـن مــن بــاب الأفضــلية فأفضــل أولــوا العــزم الخليلان، وأفضــل الخليلين محمد صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ؛ كما قـال -عَـزَّ وّجَـلَّ-: (تِلْكَ الرُّسُلُ فَضَّلْنَا بَعْضَهُمْ) [البقرة : 253]

والشاهد من الحديث ((إني أبرأ إلى الله أن يكون لي منكم خليل، فإن الله قد اتخذني خليلاً، كمـا اتخـذ إبراهيـم خليلاً، ولـو كنت متخذًا من أمتي خليلاً، لاتخذت أبا بكر خليلاً))

الحديث فيه فضلية أبي بكر وأنه أفضل الأمة بعد نبيها صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وبعد الرسل والأنبياء، فهو أرفع منزلـة بالنسـبة لسائر الأمم ما عدا الرسل والأنبياء، وهو دليل صريح من قوله: ((لو كنت متخذًا من أمتي خليلاً؛ لاتخذت أبا بكـر خليلاً)) ولكـن

خلة الإسلام أفضل، وهو دليـل علـى فضـل أبـي بكـر وتفضـيله على سائر الأمة.

المتن:

قال: ((ألا وإن من كان قبلكم كـانوا يتخـذون قبـور أنبيـائهم مساجد، ألا فلا تتخذوا القبور مساجد، فإني أنهاكم عن ذلك)).

الشرح:

وهذا محل الشاهد فـي هٰـذا البـاب أن مـن كـان قبـل أمـة محمـد عليـه الصـلاة والسـلام مـن الأمـم أنهـم يتخـذون قبـور أوليائهم مساجد؛ فيبنون عليها المساجد أو يقـبرون مـن شـاءوا -ممن غلوا فيهم- في المساجد، ويصلون عند قبورهم يتوجهـون إليهم بطلب الحاجات لتُقضى، ودفع الكربات لتُصرف مــن دون الله -تَبَارَكَ وَتَعَـالى-؛ فصـاروا بـذلك شـرار الخلـق وهكـذا كـل موضع صُـلِّيَ فيـه فهـو مسـجد؛ لقـول النـبي صَـلَّى اللـهُ عَلَيْـهِ وَسَـلَّمَ: ((وجُعلـت الأرض لـي مسـجدًا وطهـورًا)) وكـل مكـان يصلى فيه فهو مسجد، وقـد دل علـى ذلـك قـوله تعـالى: (وَأَنَّ الْمَسَـاجِدَ لِلَّـهِ فَلَا تَـدْعُوا مَـعَ اللَّـهِ أَحَـداً) [الجـن : 18] مواضـع العبادة سواء في المساجد المبنية أو في بقية أرض الله -تَبَارَكَ وَتَعَالىٰ-؛ لذا لا يجوز الصلاة لا في المقبرة لا في وسط المقبرة ولا إليها مباشرة؛ لنهي النبي صَلَّى اللـهُ عَلَيْـهِ وَسَـلَّمَ عـن ذلـك وأنه لا يفعله إلا المشركون.

المتن:

ولأحمد بسند جيد عن ابن مسعود -رضي الله عنه- مرفوعًا: ((إن من شرار الناس من تدركهم السـاعة وهـم أحيـاء والـذين يتخذون القبور مساجد)) رواه أبو حاتم في صحيحه.

الشرح:

نعم هٰـذا ورد النص بذلك أن الساعة لا تقوم إلا على شــرار الخلق؛ حتى لا يُقال في ذلك الوقت الله اللـه، لا يعرفـون اللـه وتقوم الساعة عليهم وهم يتهارجون تهـارج الحمـر، لا يعرفـون

دينًا ولا يعرفون ربهم -تَبَارَكَ وَتَعَـالىٰ- هـم شـرار الخلـق، وأمـا المؤمنون فإذا قرُب وقـت السـاعة وقيامهـا وعلـى الأرض مـن المؤمنين؛ فإن الله -تَبَارَكَ وَتَعَالىٰ- يرسل ريحًـا لطيفـة تقبـض أرواحهم ولم يبقى إلا شرار الخلق عليهم تقوم الساعة -والعياذ بالله-. والله أعلم.

المتن:

بسم الله، والحمد لله، والصلاة والسلام على رسول الله

قال الشيخ محمد بن عبد الوهاب –رحمه الله تعالى-:

باب: ما جاء أن الغلو في قبور الصالحين يُصيّرها أوثانًا تعبـد من دون الله

روى مالـك فـي الموطـأ: أن رسـول اللـه صـلى اللـه عليـه وسلم قال: ((اللهم لا تجعل قبري وثنًا يعبد، اشـتد غضـب اللـه على قوم اتخذوا قبور أنبيائهم مساجد)) ،

ولابن جرير بسنده عن سـفيان عـن منصـور عـن مجاهـد: (أَفَرَأَيْتُـمُ اللَّاتَ وَالْعُـزَّى) [النجـم : 19]ـ قـال: كـان يلـت لهـم السويق فمات فعكفوا على قبره، وكذلك قال أبو الجـوزاء عـن ابن عباس: كان يلت السويق للحاج.

وعن ابن عباس رضـي الل ه عنهمـا قـال: لعـن رسـول اللـه صـلى اللــه عليــه وسـلم زائــرات القبــور، والمتخــذين عليهـا المساجد والسرج. رواه أهل السنن .

الشرح:

الحمد لله رب العالمين، اللهم صلِّ وسلم وبارك علـى نبينـا وآله وصحبه.

تقدم معنا الكلام على الغلو ومعناه مجـاوزة الحـد فـي كـل شيء؛ مجاوزة الحلال إلى الحرام مجاوزة التوحيد إلى الشــرك في هٰـذه الأبواب؛ فالغلو في الصالحين أحياءً وأمواتًا سبب فـي الوقوع في الشرك الأكبر؛ فالمناسـبة أن الغلـو فـي الصـالحين والعكوف على قبورهم والاستغاثة بهم؛ شرك أكبر ينافي أصــل التوحيد، والعكوف عند قبورهم والصلاة لله عندها والدعاء؛ مـن البدع التي هي دون الكفر، مـن البـدع المضـلة الـتي تجـر إلـى الوقوع في الكفر؛ الدعاء عند القبـور قبـور الصـالحين والصـلاة عندها بدون عبادة لها من البدع المنكرة التي تجر على الوقــوع في الشرك الأكبر فيخرج الإنسان من التوحيـد إن كـان موحـدًا قبـل ذلـك؛ فالوسـائل والـذرائع جـاء الشـرع بشـدها وقطعهـا؛ وسائل الشر وذرائع الشر جاء الشـرع بـالنهي عنهـا؛ لأنهـا تجـر إلى الغايات المحرمة التي هي الإشراك بالله -تَبَـارَكَ وَتَعَـالىٰ-؛ لذا كان النبي صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قد نهى عن زيـارة القبـور؛ لئلا تجر الناس إلى الوقوع في الغلـو ثـم بعـد ذلـك أذن للنـاس في زيارة القبـور؛ كمـا قـال صَـلَّى اللـهُ عَلَيْـهِ وَسَـلَّمَ: ((كنـت نهيتكم عن زيارة القبور ألا فزوروها فإنها تذكّر بالآخرة)) فصـار الإذن بعد نهي؛ غير أن الزيارة تنقسم إلى ثلاثـة أقسـام: زيـارة شركية وهي التي استمر النهي عنها، وزيارة بدعيـة وهـي الـتي استمر النهي عنهـا، وزيـارة سـنية وهـي الـتي بقيـت مشـروعةً للناس يستفيد منها الحي ويستفيد منها الميت بالدعاء، والزيارة الشركية هي التي فيها استغاثة بـالموتى يـدعون مـن دون اللـه ويطلب الداعي منهم قضاء الحاجة يرفعوها إلى الله -عَزَّ وّجَلَّ- من أجل أن تُقضى؛ يعني يتخذون المـوتى وسـائط بينهـم وبيـن

الله وهذا سببه الجهل بعظمة الله -تَبَارَكَ وَتَعَالىٰ- وبـدين اللـه؛ قلة العلم يجر صاحبه إلـى الوقـوع فـي المهالـك وأكـبر مهلكـة الإشـراك بـالله -تَبَـارَكَ وَتَعَـالىٰ- فـإذا ذهـب السـائل –رجـل أو امرأة- واستغاث بصـاحب القـبر الـذي قـد بُنـي عليـه وجُصـص وكُسي ووضع عليه البخور واستغاثوا بـه لتُقضـى حـوائجهم مـن الله؛ وقعوا في الشرك الأكـبر؛ لأن اللـه -عَـزَّ وّجَـلَّ- نهـى عـن ذلك، وأمر العباد أن يتوجهـوا إليهـم فـي طلـب حاجـاتهم ودفـع كرباتهم؛ فقال سبحانه: (وَإِذَا سَـأَلَكَ عِبَـادِي عَنِّـي فَـإِنِّي قَرِيـبٌ أُجِيبُ دَعْوَةَ الدَّاعِ إِذَا دَعَانِ فَلْيَسْتَجِيبُواْ لِي وَلْيُؤْمِنُـواْ بِـي لَعَلَّهُـمْ يَرْشُدُونَ) [البقرة: 186] وقال: (وَقَالَ رَبُّكُـمُ ادْعُـونِي أَسْـتَجِبْ لَكُمْ) [غافر: 60] ولم يقل إدعوا الموتى ليكونـوا واسـطة بينـي وبينكـم؛ قـال: ((ادْعُـونِي أَسْـتَجِبْ لَكُـمْ))؛ لأنـه علام الغيـوب السـميع البصـير والعليـم الخـبير، فلا حاجـة إلـى وسـائط مـن الموتى أن يتوسطوا ليشفعوا للأحياء فيرفعوا طلباتهم إلى اللـه -عَزَّ وّجَلَّ-.

وزيارة بدعية وهي الزيارة للقبور والاعتكاف عندها والـدعاء عندها هـٰذا من البدع التي تجر إلى الشرك.

وزيارة سنية وهي زيارة المـؤمنين للمقـابر وهـي الـتي أذن بها النبي صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، وقال: ((فزوروها فإنها تذكركم بالآخرة)) وهي أن يـزور السـائر فيسـلم: السـلام عليكـم أهـل الديار من المؤمنين والمسلمين، ويرحم اللـه المسـتقدمين منـا ومنكم والمستأخرين، وإنا بكم لاحقـون وإن بكـم إن شـاء اللـه لاحقون، ثم يدعون بالخير؛ هـٰذه سنة.

واختلـف العلمـاء رحمهـم اللـه؛ هـل هـٰـذه السـنة للرجـال والنساء أم أنها خاصة بالرجـال؟ علـى قـولين: منهـم مـن قـال بعموم الرخصة بشرط أن تكـون الزيـارة سـنية فيشـترك فيهـا الرجال والنساء، ويشترط في النساء أن لا تكـون مـن الزائـرة فتنة؛ لا تفتتن هي بغيرها ولا يفتتن غيرهـا بهـا ولا تُحـدث صـخبًا وبكاءً ونحو ذلك عند القبر؛ قالوا لها أن تـزور زيـارة سـنية كمـا

يزور الرجل فيسلم ثم ينصرف إذا أمنت الفتنة وهذا هو القــول الراجح.

ومن العلمـاء مـن اعتـبر الرخصـة للرجـال فقـط؛ إذا كـانت الزيارة سنية للرجال فقط دون النساء وهذا رأي لجمهـور أهـل العلم.

والمهم إذا كـان فيـه ضـرر وفيـه فتنـة فلا يجـوز للمـرأة أن تزور، وإن أُمنت الفتنة وسـلموا مـن الضـرر هـي وغيرهـا؛ جـاز للمرأة أن تزور زيارة سلمية كما زارت أم المؤمنين ...